**المحاضرة الثامنة**

**الصفحات السوداء في تاريخ المغرب العربي:**

**"بن قانة ملك الزيبان والكلاوي باشا المغرب أنموذجين"**

**بوعزيز بن قانة ملك الزيبان:**

اختلف الكتاب حول نسب اسرة بن قانة ، فرغم ان افراد الاسرة يدعون النسب الشريف الا ان ذلك على ما يبدو للحصول على نفوذ معنوي امام الاسر الشريفة الاخرى من الاعيان.

والأرجح أن الأسرة كانت تقيم بمنطقة جرجرة قبل القرن 18 م ثم قرر احد بايات قسنطينة وهو احمد القلي"1756- 1771 " الاستعانة بهم للحد من نفوذ اسرة بوعكاز الدواودة في منطقة الزيبان، ومنذ ذلك التاريخ سطع نجمهم وتدعمت مكانتهم السياسية والاجتماعية والاقتصادية.

سي امحمد بن بوعزيز بن قانة: ولد ببسكرة سنة 1879 وتوفي في 17 جوان 1945 .

عمل مع عمه امحمد بلحاج وتمكن من اكتساب خبرة ادارية وعسكرية مكنته من الارتقاء في عدد من المناصب.

درس بضعة سنوات في ثانوية بسكرة وتعلم العربية والفرنسية وعهده والده الى احد ابناء عمه وهو مصطفى بن الشيخ كما تولى تربيته احد اصدقاء والده وهو المكي الكعلي.

امضى بوعزيز فترة شبابه في الزيبان واتقن الفروسية وتجول في قصور البدو وتعرف على حياتهم.

ارسله والده مرافقا للبعثات الطوبوغرافية الفرنسية وحصل هناك على وثائق هامة وتعرف على جغرافية المنطقة وتضاريسها جيدا.

كان والده ياخذه كل صيف الى فرنسا وتعهد به احدى العائلات الفرنسية من اصدقاء والده، وهناك تعرف عن قرب على المجتمع الفرنسي وانبهر به وبعاداته وتقاليده ونمط معيشته.

بعدما اكتسب المهارات والخبرة رافق والده في خرجاته مع ضباط الشؤون الاهلية، وتم تعيينه سنة 1898 خليفة لوالده على الزيبان.

وفي سنة 1901 كان ضمن اللجان المالية الجزائرية وكان ايضا ضمن الموكب الذي رافق قيصر روسيا في زيارته لفرنسا.

وفي 14 اوت 1902 عين قايدا على الدوسن في بسكرة.

ولما مرض والده تم تعييينه في 20 جويلية 1904 قايدا مساعدا لباشاغا الزيبان بتزكية من الحاكم العام الفرنسي.

وفي 19 جويلية 1909 تم تعيينه قايدا على الزيبان وفي 1908 تولى قيادة القومية بالزيبان وتوجه بهم الى المغرب للمشاركة في قمع ثورة الشاوية في نفس السنة.

وفي 30 سبتمبر 1910 استعي ليخلف والده في منصبه على الزيبان، وعين آغا في 27 افريل 1914 وحاز على وسام جوقة الشرف في 30 ديسمبر 1916.

انخرط ضمن قوات القوم المشاركة ضمن القوات الفرنسية في الحرب العالمية الاولى واظهر براعة في القتال نالت رضى الادارة الفرنسية وحتى الحلفاء فاغدقوا عليه عددا من النياشين والاوسمة.

وفي سنة 1927 شارك ضمن عدد من الشخصيات المغاربية الكبيرة في تدشين مسجد باريس وخطب هناك بالفرنسية منوها بالادارة الفرنسية ومساعيها لخدمة الاسلام والمصالح الاهلية.

وفي سنة 1929 حاز على لقب شيخ العرب الذي كانت تتوار ثه العائلة سابقا، وهو اعلى منصب يحوز عليه واحد من قادة الاهالي في الفترة الاستعمارية.

كان على راس القادة الاهالي المشاركين في الاحتفالات المئوية باحتلال الجزائر.

حاز بن قانة على عدد من الاوسمة والنياشين منها:

ضابط جوقة الشرف والميدالية الكولونيالية وضابط السعفة الاكاديمية ووسام الاستحقاق الفلاحي ووسام سان ستانيسلاس من امبراطور روسيا ووسام ليوبولد من ملك بلجيكا وغيرها.

اصدر بوعزيز بن قانة سنة 1930 دراسة تاريخية نوه فيها بمساعدة العائلة للفر نسييين في عمليات التوسع في اقليم قسنطينة وكان صدور الدراسة في سنة 1930 يحمل دلالة واضحة، حيث الاحتفالات الفرنسية الضخمة بالذكرى المئوية الأولى لاحتلال الجزائر، وأراد المؤلف بحكم منصبه كشيخ للعرب أن يؤكد ولاء العائلة المستمر للإدارة الفرنسية.

ذكر المؤلف في بداية دراسته أنه كان يسعى منذ مدة لنشر تاريخ عائلته، وأن عمه الباشاغا محمد بلحاج بن قانة هو الذي أوحى له بنشر هذه الدراسة ، فقد عكف هذا العم على جمع الوثائق العائلية منذ شبابه، بعد استبعاد الروايات الأسطورية منها، مع الاعتماد كذلك على روايات المسنين الذين وصفهم المؤلف بـ" الحراس الحقيقيين للروايات الشفهية".

واستطاع العم جمع كل الوثائق التي تسمح له بتقييد كل ما يتعلق بتاريخ الأسرة وأراد أن يؤلف كتابا باللغة العربية في هذا الشأن لكنه تخلى عن هذه المهمة نتيجة انشغالاته الكثيرة.

**ثروة عائلة بن قانة:**

في دراسة هامة اعدها احد الباحثين الامريكيين حول ثروات عدد من الاعيان الجزائريين جاءت الإشارة الى اسرة بن قانة و عند الحديث عن ثروتها عبارة ثروتها غير معروفة، وهذا يعني ان السلطات الفرنسية لم تستطع حصر تلك الثروات الطائلة لاسرة بن قانة لذلك لم يكن لها علم بما تملك بالتحديد، وهذا امر طبيعي لان الاسرة امتد نفوذها في مناطق واسعة شملت منطقة الزي بان كاملة وتقرت وجزء كبير من اقليم قسنطينة اضافة الى املاكها في العاصمة.

**بوعزيز بن قانة الخادم الوفي للفرنسيين:**

استطاع بوعزيز بن قانة استكمال مسيرة اسلافه في خدمة المحتل بل انه فاق اسلافه في تقديم الخدمات للفرنسيين، والغريب انه ر غم سمعته السيئة فقد ابقاه الفرنسيون في منصبه بل زادوا وانعموا عليه بمنصب شرفي هو منصب شيخ العرب.

وكدليل على قوة نفوذه فقد قام بوعزيز بن قانة بزي ارة فرنسا ولقاء رئيس الجمهورية آنذاك وهو امر لا يتاح الا لقلة قليلة للقادة الاهالي.

وانخرط بوعزيز بن قانة في العمل السياسي فترشح للانتخابات سنة 1947 في مواجهة بن شنوف وحاز كالعادة على تأييد السلطات الفرنسية مما مكنه من الفوز.

توفي بوعزيز بن قانة في وتوفي في 17 جوان 1945 وكانت الجزائر حينها قد خرجت من محنة عصيبة نتيجة حوادث الثامن من ماي 1945 التي كان لامثال القايد بوعزيز بن قانة دور في قمعها بالتعاون مع السلطات الاستعمارية.

**الباشا الكلاوي: ملك غير متوج على عرش المغرب**

**مسار الكلاوي :**

ولد التهامي الكلاوي سنة 1879 ميلادية بدار كلاوة بقصبة تلوات وما التي اتخذها والده سنة 1870 مقرا لإقامته وشبه ثكنة عسكرية وهي تقع جنوب المغرب.

كان جد التهامي أحمد المزواري الكلاوي يتولى منصب شيخ القبيلة في أواخر القرن التاسع عشر وكان ذلك بمثابة نجاح كبير للقبيلة عامة ولآل الكلاوي خاصة وذلك ما كانت تخضع له القبيلة من خنوع وإذلال تحت سلطة قيادة "زمران" قبل توليه المنصب.

تلقى التهامي تعليما دينيا بكتاب القبيلة ثم انتقل إلى مدرسة "لوركة" بالمنطقة ثم زاوية قريبة من مراكش، حفظ القرآن وتلقى بعض العلوم في اللغة والدين إلا أن الظروف التي كانت يمر بها المغرب حالت بينه وبين مواصلة تعليمه، كما ان والده توفي سنة 1886 وهو لا يتجاوز الثامنة من عمره فقام شقيقه الأكبر المدني الكلاوي بتكفله.

كان الهدف الأسمى لآل الكلاوي بعد أن سطع نجمهم في القبيلة هو التقرب إلى المخزن والسلطان وفرض السيطرة على المنطقة و تسنى لهم ذلك في عهد السلطان مولاي عبد العزيز بعد اعتلائه العرش سنة 1894 .

بعد تجربة التهامي الطويلة مع أخيه المدني في الخرجات المخزنية والتي كانت بمثابة تدريب وتطلع لحياة سياسية مخزنية صارمة، خاض عددا من المعارك ضد القبائل اكسبته خبرة في القتال جعلت الجميع يعمل له حسابا.

في سنة 1911 قرر السلطان مولاي عبد الحفيظ بن الحسن وبعد استقراره بفاس تجريد أخيه المدني وكل آل الكلاوي من مهامهم السياسية والإدارية والحربية وذلك بسبب كثرة الشكايات التي تقدمت بها القبائل في حقهم مما جعلهم يتخذون الحماية الفرنسية ملاذا وحليفا لهم ضمانا لهيبتهم وسلطانهم وسط قبائل شمال وجنوب الأطلس، ما أفضى إلى استرجاعهم موقعهم وهيمنتهم وذلك نتاج ما لقوه من دعم وتأييد من الحماية الفرنسية وكان ذلك بمثابة مكافأة لهم مما أبدوا من مجهودات في التخلص من حركة المجاهد "أحمد الهيبة ماء العينين" وطرده خارج مراكش.

بعد تنازل السلطان مولاي عبد الحفيظ بن الحسن لأخيه يوسف بن الحسن عن العرش وزمام الحكم تَم تعيين المدني صدرا أعظم أي بمثابة وزير حرب سنة 1927 فكان نصيب التهامي في ذلك ظهيرا شريفا يقضي بتعيينه باشا مراكش وكان حينها لا يتجاوز الثلاثين من عمره فأمسك زمام الأمور بيد من حديد مستغلا سلطته المطلقة على المنطقة ومباركة السلطان والحماية الفرنسية لكل ما يقدم عليه من إطفاء نور كل من حاول الخروج عن المخزن مستعينا بابن أخيه حمو الكلاوي، وكانت من أهم حملاته بلاد "تودغة" ضد أتباع المتمردَين "التوزونيني" و"بلقاسم النكادي" اللذان أصبحا يشكلان خطرا على المنطقة وتهديدا للمخزن فزاد ذلك التهامي تقة في النفس وتسلطا على العباد، فقد أصبح الآمر والناهي في المنطقة برمتها، لا ينفذ أمر إلا بإذنه، صغيرا كان أو كبيرا ولا يُقبِل أحد على تجارة أو شيء من هذا القبيل إلا وكان للتهامي نصيبا في ذلك، فأصبح الرجل ذا سلطان وجاه ومال لا يحصى إلى درجة أن فاقت ممتلكاته ممتلكات السلطان نفسه بكثير وذلك ما جاء في وثائق رسمية حين تم الحجز عنها.

|  |
| --- |
|  |

لم يقف طمع وجشع التهامي في هذه الحدود أو في مجال التجارة والعقار والأراضي الفلاحية أو غيرها كما جاء في إحصائيات موثوقة من سجلات الحجز على الممتلكات سنة 1958 كما يلي: "كان مجموع الملكيات القروية المسجلة في منطقة الحوز وحده يغطي مساحة تبلغ 11400 هكتار مَسقية و16000 هكتار ملكا لأسرته وكانت تملك 25000 هكتار مجموعا للأراضي التي لا تتوفر على رسوم أما في قصره فكانت أزيد من مائة خادمة وجارية تحت إمرته" بل وصل الأمر إلى درجة توسطه في مجال الدعارة والبغاء كما جاء على لسان المؤلف الفرنسي "كي دو لانوي" في كتابه "ليوطي، جوان، محمد الخامس، نهاية الحماية" أن التهامي الكلاوي كان أكبر "بارونات" الوساطة في الدعارة حيث كان يكلف أتباعه بمراقبة عدد كبير من دور الدعارة التي كانت تضم أزيد من ستة آلاف عاهرة، اللواتي كن ملزمات على دفع ما يناهز مائة فرنك فرنسي كل يوم مقابل الترخيص لهن بمزاولة ذلك حيث امتدت شبكة تلك الدور أو ما كان يطلق عليه "البورديلات" إلى شمال المغرب وإسبانيا وذلك ما لقوه من تشجيع من الباشا مقابل المال.

في 23 ديسمبر 1950 كان السلطان محمد الخامس على عادته يستقبل الوفود من من كل أنحاء وجهات المغرب من ساسة ورجالات دولة وكان على رأسهم الباشا التهامي بكونه الرجل الثاني في البلاد بعد السلطان وذلك احتفالا بذكرى المولد النبوي، وكانت من بين الوفود التي أتت في حضرة السلطان حزب الاستقلال، الأخير الذي كانت بينه وبين الباشا الكلاوي والحماية الفرنسية عداوة، فأثار ذلك حفيظة الكلاوي وزاد غيضه وأفضى به إلى مخاطبة السلطان بلهجة تجاوزت حدود الأدب واللياقة احتجاجا على ذلك ورفضا للدعم والاهتمام الذي كان يبديه السلطان تجاه حزب الاستقلال حيث قال له حسب ما روي "لستم إلا ظل سلطان، لم تعودوا سلطان المغرب، أنتم سلطان حزب الاستقلال" الأمر الذي أغضب السلطان وقام بطرده من القصر حيث وكل مهمة ذلك لصهر التهامي الصدر الأعظم محمد المقري إذ أمره بإبلاغه أن السلطان لم يعد راغبا فيه في القصر حتى إشعار آخر، مما جعل الباشا يقدم على صرف وفود قبائله التي جاء بها قصد تجديد البيعة للسلطان ثم إعلان الحرب على السلطان بعدها، ما عرف بأزمة العرش الأولى وكان ذلك في مستهل العام 1951.

في 19 ماي 1953 أصدر الباشا الكلاوي بيانا معلنا فيه صداقته وإخلاصه للحماية الفرنسية مطالبا إياها بإبعاد السلطان محمد الخامس وإلا فلتستعد هي للرحيل، وتم تعزيز المطلب بعريضة تضم مائتي وسبعين توقيعا لباشاوات وقواد وقد جاء فيها ما يلي "إن معشر القواد في مختلف الجهات المغربية ومن في دائرتهم من المغاربة رجال حركة المعارضة والإصلاح الممضين أسفله تحت رئاسة الباشا الهمام السيد الحاج التهامي المزواري الكلاوي.." ما جعل الحماية الفرنسية ترضخ لمطلب التهامي، وإثر فشل المفاوضات بينهم وبين السلطان وإعلان محمد الخامس معارضته للتوجهات الفرنسية ورفض التوقيع على الظهائر ذلك ما أدى إلى نفيه إلى "كورسيكا" بتاريخ 20 اوت 1953 ثم نقله إلى جزيرة "مدغشقر" بعد ذلك.

**ثروة الباشا الكلاوي:**

كان من الصعب دائما تقدير ملكية الحاج التهامي الكلاوي وهو على قيد الحياة. وقد حاولت مصالح الحماية ذاتها عدة مرات ورغم السرية التي كانت تتحراها، أن تضع جردا لملكياته غير أنها لم تستطع قط أن تنهي ذلك العمل نتيجة للضغوط القوية التي مورست عليها لصرفها عن ذلك.

وقد قدر مستشارو الكلاوي الألمان ديونه بحوالي 50 مليون فرنك، سنة 1931، «وبهدف التعامل مع دائن واحد وتوضيح وضعيته، ويطلب من الدولة إقراضه هذا المبلغ مقترحا إعطاء ملكياته الموضوعة في الرهن مقابل قيمة مماثلة

فأنجز إحصاء لثروته العقارية وقدرت قيمتها حينذاك بـ 139 مليون (70 مليون فرنك 1974) .

**نهاية الباشا الكلاوي:**

حين انتصر السلطان الشرعي للبلاد المغربية وهو محمد الخامس كان على اعوان الاستعمار وعلى راسهم الباشا الكلاوي محاولة الالتفاف، لكن ذلك لم يشفع لهم وتقرر مصادرة املاك الباشا الكلاوي كلها وضمها للاملاك المخزنية وهكذا انتهى المطاف بذلك الباشا الذي كان يعتبر نفسه ملكا غير متوج على عرش المغرب.